# التراث الطبيعي والثقافي
## وآفاق التنمية السياحية في إقليم الحسيمة

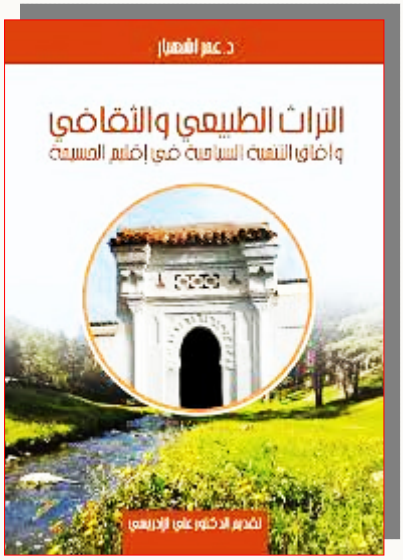

**سعيد السلماني**

باحث في مختبر التراب والبيئة والتنمية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة ابن طفيل -المملكة المغربية



**بيانات الكتاب**

المؤلف: عمر أشهبار
الناشر: مركز النسخ "الشباب" تطوان.
عدد الصفحات: ٢١٥ صفحة

الطبعة: الأولى. سنة النشر: ٢٠٢٢
مكان النشر: المغرب.

**كلمات مفتاحية:**

التراث الثقافي؛ التراث المادي؛ التنمية المحلية؛ مدينة الحسيمة؛ التراث اللامادي؛ التنمية السياحية

**معرِّف الوثيقة الرقمي:** 10.21608/KAN.2023.233526


### مقدمة

سننهج في هذه القراءة نهجًا منفتحًا على أعمال وأبحاث ومقالات في نفس السياق، وإن كنا سنخصص حيزًا أكبر لكتاب الدكتور عمر أشهبار، وسنرجع إلى مراجع مختلفة كلما دعت الضرورة ذلك. وسنركز في هذه القراءة على القسم الثاني من الكتاب الذي تحدث فيه الكتاب عن مظاهر التراث التاريخي والثقافي بإقليم الحسيمة. لكن قبل البدء لا بد من الإشارة إلى أن الكتاب الذي بين أدينا من الكتب الحديثة التي تلقي الضوء على تراث منطقة الريف وربطه بالتنمية المحلية. وصفحات الكتاب حوالي ٢١٥ صفحة، موزعة على قسمين بعد المقدمة والإطار النظري المفاهيمي.

في القسم الأول عرف الكاتب بإقليم الحسيمة وجوانب من تراثه الطبيعي، تناول في الفصل الأول التعريف بمدينة الحسيمة تأسيسًا وتطويرًا، مشيرًا إلى بعض المعطيات المتعلقة بموضع مدينة الحسيمة، والأسماء التي عرف بها هذا الموضع قبل الاستعمار الإسباني، وكذلك إبراز الحيثيات المرتبطة بتأسيس المدينة وتطورها المعماري، وتطرق الكاتب إلى التسميات التي أعطيت المدينة بعد تأسيسها، والبحث في دلالات تلك الأسماء[1].

وتناول في الفصل الثاني بكثير من الدقة الإطار الطبيعي والإداري والبشري والاقتصادي لإقليم الحسيمة. واهتم الفصل الثالث بـ "جوانب من التراث الطبيعي في إقليم الحسيمة"، مبرزًا أهمية هذا التراث

في تنمية السياحة من قبل فاعلي السياحة والمهتمين بالتنمية المحلية، معززًا صفحات الفصل بنماذج من صور شواطئ الإقليم الخلابة بدءًا من خليج الحسيمة، المسجل ضمن أروع الخلجان في العالم. إضافة إلى المنتزه الوطني لإقليم الحسيمة الممتد من منطقة "للا "يوسف" شرقًا إلى منطقة "كلايريس" غربًا وهو منتزه غني جدا بأنواع الحيوانات والطيور والأسماك. وقد أشار الكاتب إلى أن أهمية هذا المنتزه السياحية والعلمية تكمن في الحفاظ على التنوع البيولوجي والنباتي والحيواني ويشكل تأهيل هذا المنتزه إحدى أولويات الجمعيات التنموية ونشطاء التنمية الاقتصادية والاجتماعية بهذه المنطقة، مما يتطلب خلق بنية تحتية سياحية متكاملة [٢].

أما القسم الثاني الذي خصه الكاتب لمظاهر التراث الثقافي المادي واللامادي بإقليم الحسيمة، فقد تطرق فيه الباحث الى مظاهر ثقافية من الإقليم، التي تنم عن ثرائها وأهميتها، بل ضرورة توظيفها في السياحة وتنمية الإقليم، وصورًا للمواقع الأثرية للمدن التاريخية وبعض المعالم العمرانية الدينية كالمساجد والزوايا والأضرحة والمقابر التاريخية، بالإضافة إلى الصناعات التقليدية التي يتميز بها الإقليم، مثل الأواني الفخارية والمنتوجات الجلدية الذائعة الصيت، ومنتوجات الدوم كذلك. وفيما يلي قراءة وصفية في هذا القسم.

## مظاهر التراث الثقافي المادي واللامادي في الشمال المغربي: إقليم الحسيمة نموذجًا

### أولاً: التراث الثقافي المادي

يشمل التراث المادي كل ما شيده الأجداد من مآثر تاريخية ومواقع أثرية ومباني عامة ومساكن وأماكن العبادة ومدارس علمية وزوايا وأضرحة ورباطات. ويمكن القول بأن الكاتب بذل مجهود كبيرا في الجمع والترتيب لبعض المعالم التاريخية التي تشكل التراث الثقافي المادي لإقليم الحسيمة، سواء تعلق الأمر بالمواقع الأثرية للمدن والقلاع، أو معالم دينية كالمساجد والزوايا.

#### ١/١-المواقع الأثرية للمدن والقلاع التاريخية بإقليم الحسيمة

أشار الكاتب الى أن منطقة الريف الأوسط ساهمت بفعالية في تشكيل تاريخ المغرب بحكم موقعها الاستراتيجي، واحتضنت حواضر كبرى، خاصةً خلال العصر الوسيط. ومن المدن التاريخية التي توجد مواقعها الأثرية ضمن تراب إقليم الحسيمة نذكر نكور والمزمة وبادس. وهذه بعض الصور التي استعرضها الكاتب على امتداد صفحات هذا الفصل.

**الموقع الأثري "المزمة":**

تشير هذه الصور إلى الموقع الأثري "المزمة" [٣] وتظهر أسوار المدينة القديمة قبل ترميمها [٤].

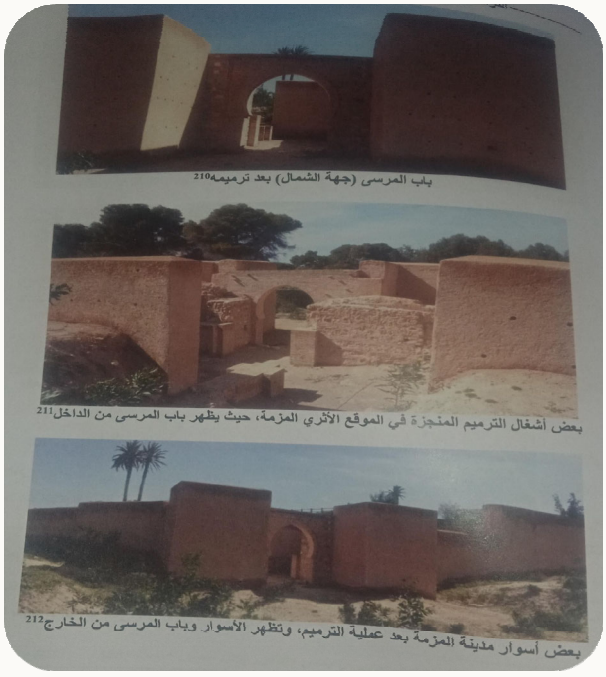


هذه الصور تشير الى مداخل المدينة وأسوارها بعد عملية الترميم مما يدل على عظمة المدينة والدور الذي كانت تلعبه في منطقة الريف [٥].

**الموقع الأثري لمدينة "بادس" القديمة:** تقع مدينة بادس على ساحل البحر الأبيض المتوسط، غرب مدينة الحسيمة حاليًا على بعد ٥٠ كيلومتر، وهناك اختلاف حول تاريخ تأسيسها، لكن ما هو متفق عليه حسب المصادر التي أرخت لهذه المدينة أنها عرفت إشعاعًا حضاريًا متقدمًا بعد انتشار الإسلام بمنطقة الريف، حيث اشتهرت بنشاطها العلمي والديني والاقتصادي، بالإضافة إلى انفتاحها على دول البحر الأبيض المتوسط والأندلس، لكن الاحتلال الإسباني سنة ١٥٦٤م أدى الى نهاية المدينة وتوقف حضارتها[٦]. وهذه بعض الصور الشاهدة على معالم حضارة بادس المزدهرة.

بعض أطلال مدينة بادس قبل عملية الترميم[217]

أشغال الترميم المنجزة في الموقع الأثري لبادس، حيث يظهر الباب الرئيس لمدينة بادس[218]

السور نفسه بعد عملية الترميم[219]

السور الذي يرجع بناؤه إلى عهد سيطرة الموحدين على بادس[220]

جزيرة بادس المحتلة، كما تظهر في الصورة بقايا أفران الجير الموجودة في التراب المغربي، وتعود هذه الأفران إلى فترة الاستعمار الإسباني للمنطقة خلال الفترة المعاصرة[221]

أورد الكاتب هذه الصور في الصفحة ١٠٧ و١٠٨، كأثر شاهد على موقع مدينة بادس التاريخي قبل الترميم وبعده، وقد أشار الكاتب أن عملية الترميم جارية على الموقع الأثري بادس تحت إشراف وزارة الثقافة.

**القلع والقصبات الأثرية:** ومن المواقع الأثرية الهامة التي تضمنها الكتاب قصبة "اسنادة" وقلعة "صنهاجة" والقصبة الحمراء، وفيما يلي بعض الصور الشاهدة على هذه المعالم التاريخية كأثر دال على وجود حضارة عريقة في التاريخ المغربي.

**قصبة "اسنادة":** يرجع سبب تشييد قصبة "اسنادة" - التي عرفت في المصادر التاريخية باسم قصبة "تلا بادس" - كمركز قار للمراقبة أساسًا إلى مقاومة الوجود الإسباني في جزيرة بادس وحراسة السواحل المحيطة بها وللحد من المحاولات الهجومية على الأراضي الداخلية من قبل القوى الأجنبية التي سعت إلى فرض سيطرتها على المنطقة واستغلال مواردها، وذلك طبقا لما أمر به عبد الله الغالب إثر الاحتلال الإسباني لجزيرة بادس، والتأكد من عزم الإسبان بسط نفوذهم على الحوز البادسي، وذلك منذ جمادى الثانية عام ٩٧٢هـ/ يناير١٥٦٥م، حيث وصل أول قواد السعديين على تلك الناحية، وهو منصور بن إبراهيم لوضع ترتيبات الحراسة القارة تجاه الوجود الأجنبي بالجزيرة البادسية[٧].

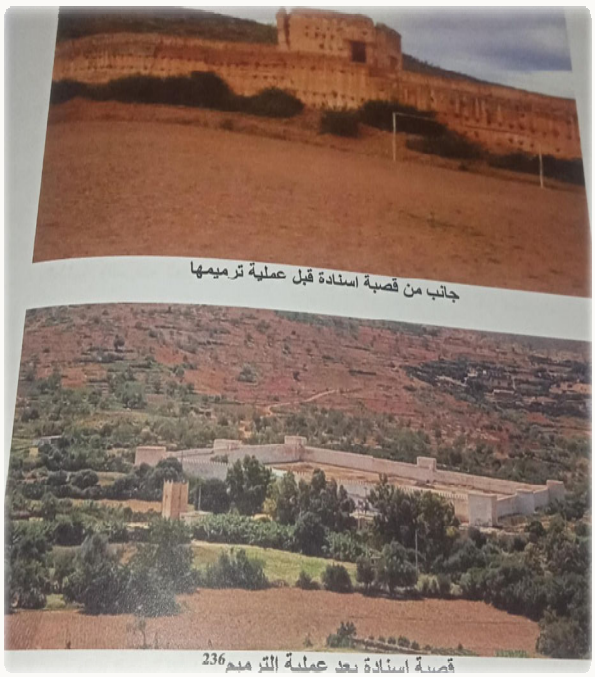

جانب من قصبة اسنادة قبل عملية ترميمها

قصبة اسنادة بعد عملية الترميم[236]

جوانب من أسوار القصبة من الداخل، وأحد الأبراج بعد عملية الترميم[297]

صورتان تظهران بوضوح واجهة أسوار القصبة بعد الترميم[298]

باب القصبة من الخارج بعد عملية الترميم[299]

**قلعة صنهاجة:** أما قلعة صنهاجة فهناك بعض الروايات تقول إن قلعة صنهاجة تم تشييدها من قبل البرتغاليين للاحتماء بها، وذلك في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي خلال عهد الملك دون مانويل Don Manuel. لكن هذه الرواية حسب الكاتب تفتقد إلى الحجج التاريخية المقنعة[٨]. وبالنظر في شكل الأبراج والأسوار والتقنيات المستعملة في تشييد القلع البرتغالية يتبين تهافت هذه الرواية. فالعمارة العسكرية البرتغالية بالمغرب استعمل فيها الحجر عوض الطابية Pise، وتتميز بأسوارها وأبراجها العريضة لاستيعاب المدافع، عكس أبراج وأسوار قلعة صنهاجة، مما يثبت أن هذه القلعة بنيت في فترة سابقة عن المد الإيبيري بالمغرب، ومن المرجح أن يكون ذلك في عهد الموحدين مادام قد تم العثور على بعض المواد التي عرف الموحدون باستعمالها[٩].

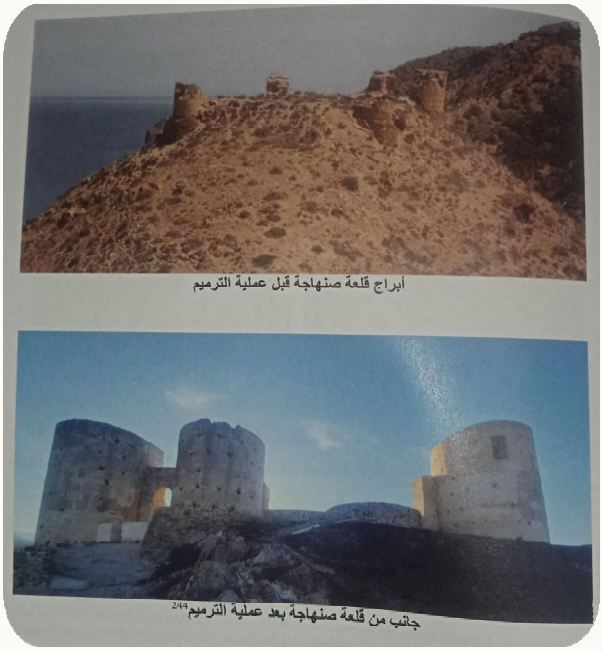
أبراج قلعة صنهاجة قبل عملية الترميم

جانب من قلعة صنهاجة بعد عملية الترميم[249]

**القصبة الحمراء/ قلعة أربعاء تاوريرت:** يرجع تاريخ بناء هذه القلعة إلى سنة ١٩٤٠م على يد إيميليو بلانكو إيثيكا Emilio Blanco Ezaca، وهو قائد عسكري إسباني وباحث سوسيولوجي أرسلته إسبانيا إلى المغرب سنة ١٩٢٧م، وقد تقلّد العديد من المناصب أهمها توليه منصب مراقب على منطقة الريف سنة ١٩٣٦م[١٠]. وتوجد القصبة الحمراء بالمركز القروي أربعاء تاوريرت جنوب شرق مدينة الحسيمة، ويبعد عن المدينة بنحو ٢٥ كلم. وتعرف القلعة في صفوف الساكنة المحلية بـ "ثقصابث ثزوكاغت" أي القصبة الحمراء، أو "فوسينا" وهي تحريف للكلمة الإسبانية Oficina وتعني المكتب[١١].

وشكلت القلعة في عهد الاستعمار مركزا إداريا، حيث احتضنت عدة مكاتب إدارية، وإسطبلات الحيوانات ومخازن الحبوب، بالإضافة إلى محكمة وسجن ومستوصف. وتتكون من طابق أرضي كان مخصص للسجناء، وطابق علوي يتكون من ٩٩ حجرة[١٢].

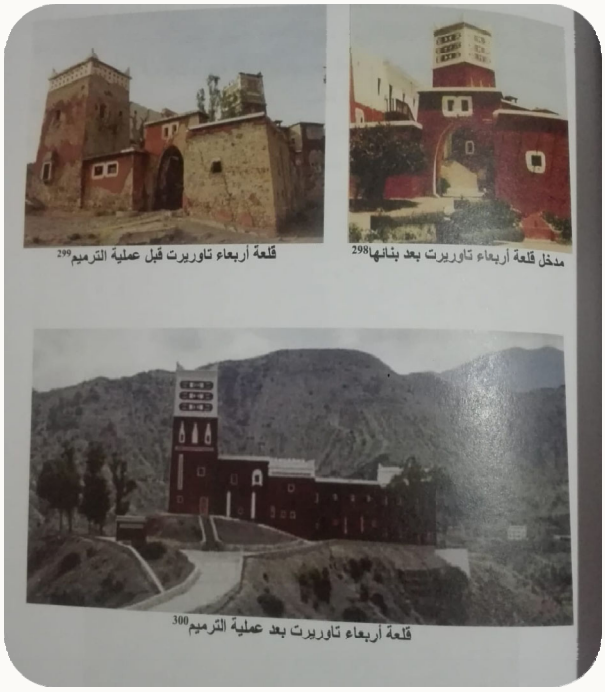
مدخل قلعة أربعاء تاوريرت بعد بنائها[298]

قلعة أربعاء تاوريرت قبل عملية الترميم[299]

قلعة أربعاء تاوريرت بعد عملية الترميم[300]

أورد الباحث على لسان السكان المحليين أن القلعة كانت جميلة ويوجد بداخلها تحف معمارية رائعة، لكنها نهبت وخربت، لكن رغم ذلك فقد حافظت على هيكلها الخارجي. وتصل المساحة الإجمالية لهذه المعلمة التاريخية نحو ٩٠٠ متر مربع. وقد أصبحت مؤهلة لاستقبال الزوار بعد الترميم الذي أشرفت عليه وزارة الثقافة، وأدرجت ضمن لائحة التراث الوطني منذ سنة ٢٠١٨م[١٣].

### ٢/١-المعالم العمرانية الدينية بإقليم الحسيمة

يزخر إقليم الحسيمة بالمعالم العمرانية الدينية، ويرجع سبب ذلك إلى كون الدين لعب دورًا هامًا في تأطير حياة الناس الثقافية والاجتماعية، ويظهر ذلك من خلال انتشار العديد من المعالم الدينية كالمساجد، والزوايا، والأضرحة، والمقابر.

**المساجد التاريخية:** شكل المسجد عبر التاريخ لحظة فارقة في حياة المسلمين منذ التأسيس الأول للمسجد النبوي، فبالإضافة إلى كونه مكان للعبادة، فهو أيضًا مؤسسة اجتماعية يقوم بأدوار تربوية وتعليمية ومدنية، والمغرب كغيره من البلدان الإسلامية احتلت فيه مؤسسة المسجد مكانة مرموقة، فأينما يمّمت وجهك تجد مسجدا، ولن تجد تجمعًا سكنيًا خاليًا من المسجد، فالناس في الأحياء والدواوير ينشؤون مساجدهم ويعتنون بها، ثم يتعاقدون مع فقيه يؤمّهم في الصلاة ويعلمهم أمر دينهم وتعليم أطفالهم مقابل أجر عيني قد يكون قمحًا أو شعيرًا أو نقدًا، ويُعرف محليًا بالشرط. وقد أشار الباحث إلى أن معظم المساجد في دواوير إقليم الحسيمة، كانت عبارة عن بناء مربع الشكل، يحتوي على غرفة كبيرة للصلاة، وغرف أخرى لإقامة الفقيه والطلبة الوافدين من مناطق بعيدة. ومن أهم المساجد التاريخية التي رصدها الباحث:

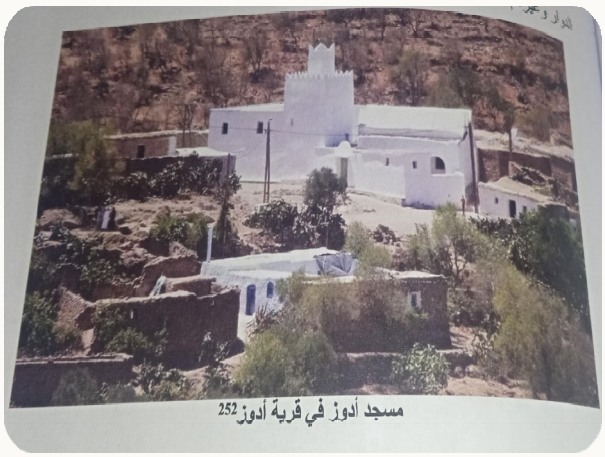

مسجد أدوز في قرية أدوز[252]

**مسجد أدوز التاريخي:** من المعالم الدينية التي يزخر بها إقليم الحسيمة مسجد قرية أدوز. ويعود تاريخ بنائه إلى عهد السلطان أبي الحسن المريني (١٣٣١-١٣٥١م)، الملقب بالأكحل. فحسب الباحث يرتبط تأسيس هذا المسجد بشخصية الولي الصالح سيدي بن حسون، ولا يعرف متى بني هل عندما كان هذا الوالي على قيد الحياة أم بعد وفاته؟ وقد لعب هذا المسجد عبر التاريخ دورًا مهما في تعليم أبناء دوار أدوز والدواوير المجاورة والطلاب الذين كانوا يقصدونه من أماكن بعيدة علوم القرآن والشريعة. ولازال هذا المسجد يحتفظ بمقوماته رغم أن دوره في الوقت الراهن يقتصر على أداء الصلاة وتعليم القرآن الكريم للراغبين في ذلك من أبناء الدوار وغيرهم[١٤].

مسجد مسطاسة[254]

**مسجد مسطاسة التاريخي:** ومن المعالم الأثرية الدينية مسجد مسطاسة التاريخي وهو مسجد يوجد ضمن تراب جماعة بني جميل مسطاسة، وكان تاريخيا صرحا دينيا وعلميا مهما، ويرجح أن يكون تاريخ بنائه متزامنا مع بناء مسجد أدوز في عهد السلطان أبي الحسن المريني. وقد أشار الباحث إلى تشابه الخصائص المعمارية لهذا المسجد مع خصائص مسجد ادوز، غير أن بمسجد مسطاسة عدة أبواب رغم حجمه الصغير حيث نجد الباب الرئيس، وبابا في جهة المئذنة، وبابا للنساء، وثلاثة أبواب صغيرة. وتتميز نوافذ المسجد بصغر حجمها. أما الصومعة فيصل علوها إلى نحو عشرة أمتار، ويضم المسجد محرابين (محراب موجه نحو جهة الجنوب الشرقي، والآخر موجه نحو جهة الشمال الشرقي)، ولذلك يعرف لدى الناس بمسجد المحرابين. وشيد سقف المسجد بأعمدة خشب العرعار، ويتكون هذا السقف من خمسة قباب وأربعة أقواس وتوجد به نجمة ثمانية في جهة المحراب. كما أن اللافت للنظر في هذا المسجد هو الزخرفة الجميلة وخشبه المنقوش وبعض الرموز والكتابات التاريخية الموجودة في عناصره المعمارية، خاصة في المحراب، ومما لا شك فيه أن لهذه الرموز والكتابات دلالات معينة[١٥].

هذه بعض النماذج التي أوردها الباحث في كتابه، لكن بحكم انتمائنا إلى المنطقة، فإن إقليم الحسيمة وغيره من أقاليم الشمال المغربي يعج بالمعالم الدينية الأثرية، والكثير منها إما هدم وأقيم مكانه بناء حديث أو أهمل وبقيت أطلاله أو غيرت بعض معالمه.

**الأضرحة والزوايا:** حظيت الزوايا والأضرحة في منطقة الريف باحترام كبير وقامت بأدوار عديدة، تربوية ودينية، وسياسية، واقتصادية، وتعليمية. وبما أن هذه الأماكن مرتبطة بأشخاص يحملون دلالة الشرف والصلاح فإن السكان كانوا يقصدونها لأغراض متعددة، أحيانًا للتبرك وأخرى للتفريغ والتنفيس من مصاعب الحياة، وأحيانًا للوساطة والفصل في النزاعات. ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن الزوايا والأضرحة ساهمت في تأطير حياة الناس في المجتمع المغربي، في أوقات كان الناس في أمس الحاجة إلى من يدلهم ويرشدهم إلى الطريق الصحيح. يحتضن إقليم الحسيمة العديد من الزوايا والأضرحة التي يمكن إدراجها ضمن التراث الوطني المشكل للهوية الثقافية للمغاربة، وقد أشار الباحث عمر أشهبار في كتابه إلى بعض الزوايا[16] والأضرحة نذكر منها ما يلي:

**الزاوية الحسونية:** التي يعود تاريخ بنائها الى منتصف القرن السادس الهجري من قبل الحاج علي بن حسون بقبيلة بقوية. وقامت هذه الزاوية بأدوار مهمة في التأطير التروي والعلمي، والديني، والاجتماعي، والسياسي.

**الزاوية الوزانية:** توجد هذه الزاوية بمنطقة سنادة، ويرجع تاريخ تأسيسها إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، واشتهرت بدور الوساطة الذي قامت به بين السلطات الفرنسية والمقاوم محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد قراره تسليم نفسه سنة ١٩٢٦.

**زاوية سيدي عيسى:** تقع على الضفة اليمنى لوادي غيس بقرية أيت وریاغر، وهناك تضارب في تاريخ تأسيسها ما بين القرن التاسع الهجري (١٥م)، وأواخر القرن الثامن الهجري (١٤م).

**زاوية سيدي يوسف:** وبنفس القبيلة وعلى الضفة اليمنى لوادي غيس، توجد زاوية سيدي يوسف، تأسست في النصف الأول من القرن السابع عشر الميلادي من قبل سيدي يوسف المتوفى سنة ١٦٤١م. وحسب الباحث فقد لعبت دورا مهمًا في كل ما يتعلق بالحياة الدينية والدنيوية.

**رباط للاميمونة:** يقع هذا الرباط[17] فوق مرتفع شاهق مطل على البحر بساحل بوسكور بقبيلة بقوية. وحسب الباحث فإن هذه الولية رغم أنها لا تنحدر من منطقة الريف إلا أنها حضيت بتقدير واحترام من طرف الساكنة.

هذه بعض الزوايا التي أشار إليها الباحث ولا شك أن هناك العديد منها في إقليم الحسيمة ومنطقة الريف عامة، أما الأضرحة التي ذكرها الكاتب فهي كثيرة ومتعددة، ففي القبيلة الواحد قد تجد العديد من الأماكن المقدسة، إذ لا تكاد جماعة تخلو من ضريح خاص بها. ونشير في هذا الصدد إلى بعض أسماء الأضرحة التي ذكرها الباحث في دراسته وهي كالآتي:

**ضريح الشيخ الحاج علي حسون:** توفي الولي الصالح الحاج علي حسون في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي خلال عهد الدولة الموحدية، ويوجد هذا الضريح بقرية أدوز.

**ضريح أبي يعقوب البادسي:** يوصف أبي يعقوب البادسي بالصلاح والعلم، ولد في ١٧ ذي الحجة ٦٤٠هـ، وتوفي ببادس عام ٧٢٤هـ، ويوجد هذا الضريح مقابل جزيرة بادس المحتلة.

**ضريح سيدي بوخيار:** يوجد هذ الضريح بالمنطقة العليا "لبومعذن" في "ثامرزكا" في أعلى جبل قمة احمام بجماعة شقران، ويعد من أشهر الأضرحة والمزارات في منطقة الريف الأوسط، ويحج إليه المئات من الوافدين كل سنة في اليوم السابق لعيد الأضحى.

**ضريح سيدي غيير:** ليس هناك معلومات حول هذا الولي، ويوجد في أعلى جبل تودغين.

**ضريح سيدي امحند أموسى:** يوجد هذا الضريح بأيث هشام بأجدير، ولم يذكر الباحث ترجمة لهذا الولي، ما عدا إشارته إلى أنه كان يقوم بأنشطة مكثفة للدفاع عن الثغور بساحل الريف.

**ضريح سيدي احمد أقنيين:** يوجد في جماعة بني عبد الله، ولم يذكر الباحث ترجمة لهذا الولي.

**ضريح للا ثيقت:** لم يذكر الباحث شيئا عن هذه الولية ما عدا صورة الضريح أخذها من موقع التواصل الاجتماعي فايسبوك نشرت بتاريخ ١٠ يونيو ٢٠٢٠، من طرف حساب رشيد الصالحي.

وفي بسكور بقبيلة بقوية هناك العديد من الأضرحة، حتى عرفت في الأوساط المحلية بقبيلة مئة وليّ، نظرًا لعدد الأضرحة المنتشرة فيها، مثل: ضريح سيدي عبد الرحمان، وضريح سيدي مارك (مالك)...، وغيرها كثير.

## ثانيًا: التراث الثقافي اللامادي

بدأ الاهتمام بالتراث والحفاظ عليه في المجتمعات الغربية من قبل بعض المثقفين، وكان الاهتمام أساسًا بالتراث الأثري، ثم انتقل الاهتمام إلى حماية التراث الثقافي والمعماري، والحفاظ على المعالم الطبيعية والتراث اللامادي. وفي المغرب برزت فكرة الحفاظ على التراث خلال فترة الحماية، حيث صدر أول ظهير للحفاظ على التراث في ١٣ فبراير ١٩١٤م، وكان الهدف منه هو المحافظة على العقارات ذات أهمية خاصة بالنسبة للفن وتاريخ المغرب والمنقوشات والتحف والمباني التاريخية والمواقع الأثرية[١٨]. وبعد هذا الظهير صدرت مجموعة من القوانين والظهائر والمراسيم كلها تدور حول حماية وصون وتثمين التراث المغربي[١٩].

ونظرًا للوعي بأهمية التراث اللامادي في وعي الشعوب، وبالنظر إلى أهميته بوصفه بوتقة للتنوع الثقافي وعاملا يضمن التنمية المستدامة، فقد لجأت منظمة اليونسكو سنة ٢٠٠٣ إلى سنّ اتفاقية دولية لصون هذا التراث. ومن أهداف هذه الاتفاقية: صون التراث الثقافي غير المادي، والتوعية على الصعيد المحلي والدولي بأهميته وتقديره[٢٠]. وفي المادة الثانية من نفس الاتفاقية تم تعريف التراث الثقافي اللامادي على أنه "الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات – وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية – التي تعتبرها الجماعات والمجموعات وأحيانًا الأفراد، جزءًا من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير المادي المتوارث جيلاً عن جيل، تبدعه الجماعات والمجموعات من جديد وتعيد إنتاجه وتحديثه بصورة مستمرة بما يتفق مع بيئتها وتفاعلاتها مع الطبيعة وتاريخها، وهو ينمي لديها الإحساس بهويتها والشعور باستمراريتها، ويعزز من ثَمَّ احترام التنوع الثقافي والقدرة الإبداعية البشرية[٢١].

ويتمظهر التراث اللامادي في المجالات الآتية:

- في التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عنه.
- في الفنون والتقاليد وأداء العروض.
- في الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.
- في المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون.
- في المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية.

ويتميز بأنه عابر للزمان والمكان؛ أي تراث حي شأنه في ذلك شأن الثقافة عامة، فهو في تغير مستمر، كما يتميز بالأصالة، لأنه يعتبر مظهرًا انثروبولوجيًا خاصًا بجماعات أو أفراد معينين يجب احترامه وتقديره لقيمته الثقافية وكونه إغناء لثقافات أخرى. كما يتميز أيضًا بارتباطه الوثيق بالمجتمعات المحلية، فهي الوحيدة التي تملك حق التصرف فيه[٢٢]. وإذا كان الأمر كذلك، فإن أهمية التراث اللامادي تكمن في دوره الفعال في تغذية العقل الجمعي ومده بالقيم، إلى جانب إسهامه في تشكيل الوعي العام، ولهذا كان الحفاظ عليه ونشره ونقله عبر الأجيال والحرص على ضمان استمراريته مسؤولية الجميع بلا استثناء.

ورغم أهمية هذا المبحث في الكتاب الذي بين أيدينا، إلا أن الكاتب لم يوفيه حقه من البحث ما عدا بعض الإشارات ركز فيها على جوانب من هذا التراث، إذ يقول: وتنتشر في إقليم الحسيمة مختلف مظاهر التراث غير المادي رغم الأخطار المحدقة به، ونذكر على سبيل المثال مجموعة من العادات والطقوس الاحتفالية (طلب المطر،

العمل الجماعي المعروف محليا بـ"ثويزا"، عادات وطقوس الزواج، الألعاب الشعبية..)، بالإضافة إلى الفنون والتقاليد وأداء العروض (الرقص، الأمثال، الألغاز، الحكايات، الأكلات التقليدية، اللباس...)، والخبرات المرتبطة بالصناعة التقليدية (منتجات الحرف التقليدية الخزفية والجلدية أو المصنوعة م الدوم والحلفاء...)[٢٣].

## خَاتِمَةٌ

إن الدراسة التي بين أيدينا أماطت اللثام عما كنا نترافع من أجله بأقاليم شمال المغرب - ونحن نشتغل ضمن المجتمع المدني -، بأن آفاق التنمية المحلية وافرة ولها ارتباط بالمكونات الطبيعية والثقافية للمنطقة. فأقاليم الشمال وافرة بالمعالم الأثرية والثقافية بالإضافة إلى المناظر الطبيعية الخلابة، فالشمال المغربي ليس المدن الساحلية فقط، بل هو أيضًا تلك القبائل المنتشرة في أعالي الجبال التي أطلق عليها أوجيست موليرياس "المغرب المجهول" وهي ما زالت متشبثة بعاداتها وتقاليدها وما تبقى من تراثها الطبيعي والثقافي.

وعليه، فإن كسب رهان التنمية المستدامة بأقاليم الشمال المغربي يتطلب استراتيجية متكاملة تراعي المميزات والخصائص لكل إقليم على حدة، بالإضافة الى التكامل والترابط القوي بين أبناء المنطقة ثقافيا واجتماعيا. ولتحقيق هذا الهدف، فإننا نتقاسم مع الكاتب مجموعة من الخطوات الإجرائية فيما يخص التنمية السياحية والبيئية في علاقتها مع الموروث الثقافي والتاريخي والطبيعي بأقاليم الشمال، ويمكن إجمالها في الخطوات الآتية:

- خلق البنيات التحتية وفك العزلة عن المنطقة: وذلك من خلال شق الطرقات وخلق فضاءات سياحية قروية وساحلية وفتح ممرات بحرية تربط المناطق الساحلية التاريخية مثل الجبهة، الحسيمة، وادلو، تارغا، سطيحات...، وكل هذه الأماكن لها من المآثر التاريخية ما يجعلها مناطق جذب للسياحة العالمية. بالإضافة إلى ربط المنطق بالسكك الحديدية والتجهيرات الفندقية والإقامات السياحية...الخ، كما أن دعم البنية الطرقية بالمحاور الجبلية، وتحسين أسلوب التشوير والإرشاد لتحقيق العدالة المجالية.
- التعريف بالمآثر التاريخية والموروث الثقافي والطبيعي، وجرد عناصره بغية إنجاز خرائط أثرية وأرشيفات للمواقع الثقافية، بالإضافة إلى تشييد متاحف محلية تهتم بالتراث المحلي والتعريف به.
- لا بد من رد الاعتبار لقطاع الصناعة التقليدية المحلية، وخلق نقط التوزيع والبيع حتى يتشجع أبناء المنطقة على البقاء وعدم الهجرة بحثا عن آفاق أفضل، وهذا ما لاحظناه في السنوات الأخيرة، فإن بعض الدواوير بدأت تفرغ من سكانها بسبب الهجرة الداخلية والخارجية. وهذا الأمر سيدفع سكان المنطقة مع إشراك المجتمع المدني إلى إحياء التراث الثقافي المادي واللامادي.
- ضرورة إشراك كل الوسائل المساعدة على الصون والتثمين، من مؤسسات ثقافية وجمعيات مدنية، وجامعات ومسارح وطنية وفنية...، بالإضافة إلى خلق منصات إعلامية وطنية ودولية، ونحن نعيش اليوم أمام ازدهار تقنية الذكاء الاصطناعي، لا بد من خلق متاحف ذكية أو ما يمكن تسميته بالسياحة الذكية تأسيًا بالعديد من الدول التي قطعت شوطًا متقدمًا في هذا الباب.
- هناك نقطة غاية في الأهمية، وتتمثل في فتح عروض استثمارية في مجال السياحة الثقافية والبيئية وتشجيع المستثمر الداخلي والخارجي، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن منطقة الريف خصوصًا والمناطق الشمالية عمومًا تزخر بكم هائل من المهجرين الذين يرغبون بالاستثمار في وطنهم، وهم على استعداد تام فور توفر شروط الأمان الاستثماري وتسهيل المساطر القانونية.
- ضرورة دعم البنية الطرقية بالمحاور الجبلية، وتحسين أسلوب التشوير والإرشاد لتحقيق العدالة المجالية، وتهيئة محطات للرياضات الجبلية والمائية، وإحياء نوادي للرماية الفروسية وإحداث مراكز للقنص ومخيمات تابعة للشباب والرياضة، ومراصد الذاكرة الجبلية، مع الحرص على تكوين المثقفين من أبناء الجبل كمرشدين سياحيين جبليين، بالإضافة الى إنتاج برامج وأفلام وثائقية تعريفية بالتراث الجبلي بمناطق الشمال وتقديمه في التظاهرات الوطنية والدولية بشكل يليق به كتراث مادي وغير مادي[٢٤].

ربطًا بما سبق، فإن الصناعة الإشهارية اليوم أصبحت محرك الاقتصاد السياحي، وما هو ملاحظ على المستوى الوطني فضلا عن المحلي، ضعف التنافسية في هذا المجال، إذ لا سياحة بدون صناعة إشهارية قوية وتنافسية عالية.

## الاحالات المرجعية:

(١) اشهبار عمر، **التراث الطبيعي والثقافي وآفاق التنمية السياحية في إقليم الحسيمة**، مركز النسخ "الشباب" تطوان، ط١، ٢٠٢٢، ص، ٣٢.

(٢) نفسه، ص، ٦-٧.

(٣) كانت تقع مدينة المزمة على بعد نحو سبع كيلومترات شرق مدينة الحسيمة الحالية عند أسفل هضبة أجدير قبالة جزيرة النكور المحتلة ويصعب تحديد تاريخ تأسيس هذه المدينة بشكل دقيق، لكن الغالب على الظن أن مرسى المزمة كان نشيطا منذ قيام حاضرة، نكور، لكن إشعاع المدينة برز بشكل كبير بعد تدمير إمارة النكور، وبالتالي يمكن القول إن المزمة هي وريثة نكور. وقد استمر إشعاعها حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادي. وقد تطرقت العديد من مصادر العصر الوسيط إلى هذه المدينة وإسهامها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في منطقة الريف. (أشهبار، نفس المرجع، ص،١٠١.)

(٤) صور مأخوذة من الكتاب ص، ١٠٣.

(٥) نفسه، ص، ١٠٥.

(٦) نفسه، ص، ١٠٢.

(٧) نفسه، ص، ١١٠.

(٨) نفسه، ص، ١١٤.

(٩) نفسه، ص، ١١٧.

(١٠) نفسه، ص، ١٣٢.

(١١) نفسه.

(١٢) نفسه.

(١٣) نفسه.

(١٤) نفسه، ص، ١١٨-١١٩.

(١٥) نفسه، ص، ١٢٠.

(١٦) الزوايا، جمع زاوية: مكان معد للعبادة وإيواء الواردين من المريدين وإطعامهم وعرفت بأنها مدرسة دينية أو دار مجانية للضيافة، وهي بذلك تشبه الدير في العصور الوسطى. ومن أقدم الزوايا بالمغرب التي حملت هذا الاسم زاوية الشيخ محمد صالح الماجري (ت ٧٣١ هـ) وتكاثرت الزوايا في العصر المريني ونمت حولها مدارس لطلبة العلم. انظر: العافية عبد القادر، **الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها**، مطبعة فضالة المحمدية المغرب، ١٩٨٢، ص١٩٢.

(١٧) الرباطات جمع رباط والرباط في الإسلام أصله مكان يجتمع فيه الناس من أجل الجهاد وحراسة الثغور، وتطور هذا المفهوم فيما بعد، إلا أنه لم يخرج عن معنى المرابطة والمجاهدة وكانت الربط بمثابة معاهد لتعليم العلم، ولتربية خاصة تقوم على التعليم والتثقيف والجهاد.

(١٨) نفسه، ص، ١٨٨.

(١٩) جاء في مذكرة تقديم مشروع قانون يتعلق بحماية التراث الثقافي والمحافظة عليه وتثمينه ما يلي: أولى المغرب، تاريخيًا، اهتمامًا قويًا بالتراث. ويعود ذلك إلى ٢٩نونبر ١٩١٢، تاريخ نشر الظهير الشريف المتعلق بالمحافظة على المواقع والنقائش التاريخية، ومنذ هذا التاريخ عرف التشريع المغربي تطورا ملحوظا توج بإصدار مجموعة من النصوص التشريعية وهي كالتالي:

- الظهير الشريف المؤرخ ب ١٣فبراير ١٩١٤المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والنقائش والتحف الفنية والعاديات للمملكة الشريفة وحماية الأماكن المحيطة بالمآثر والمواقع والمعالم الطبيعية؛
- الظهير الشريف المؤرخ ب ٢١يوليو ١٩٤٥المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والنقائش والتحف الفنية والعاديات وحماية المدن العتيقة والمعمار الجهوي؛
- القانون رقم ٢٢,٨٠المتعلق بالمحافظة على المباني التاريخية والمناظر والكتابات المنقوشة والتحف الفنية والعاديات. (وزارة الثقافة).

(٢٠) مرسي أحمد علي، **صون التراث الثقافي غير المادي أرشيف الحياة والمأثورات الشعبية مصر نموذجًا**، المجلس الأعلى لثقافة القاهرة، ط١، ٢٠١٣، ص، ٢٤.

(٢١) نفس المرجع

(٢٢) صلاح الجبوري وآخرون، **التراث الثقافي اللامادي لبدو العراق في بادية غرب نهر الفرات**، دار الآداب للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٢٢، ص، ٧.

(٢٣) أشهبار عمر، مرجع سابق، ص، ١٣٦.

(٢٤) التباعي جواد، **جوانب من التراث الثقافي ببلاد زيان من العصر الوسيط إلى الزمن الراهن دراسة وتثمين**، دورية كان التاريخية، عدد ٥٣، سبتمبر ٢٠٢١، ص، ٢٤٤.